كليلة ودمنة العربية: الجذور والتأثيرات في الآداب العالمية:

من أقدم الأجناس الأدبية وأكثرها شيوعا في تاريخ الآداب العالمية على اختلافها وتنوعها ، الأقاصيص التي تروى على ألسنة الحيوانات ، مثل حكايات "كليلة ودمنة". وتعتبر هذه الحكايات جنسا أدبيا عالميا .

وقد اتخذت شعوب العالم من القص على لسان الحيوان وسيلة للتعبير عن علاقاتها بالظواهر الطبيعية الغامضة ، وما يرتبط بها من مشاعر الخوف والشفقة ، والقوانين الخلقية. والحقيقة أن الحيوانات تقتسم مع الإنسان طقوس الحياة ، وترافق الإنسان حيث يكون ، وفيها ما في بني آدم من رقة ومن توحش ومن خير ومن شر ، ومن نفع ومن ضر. فهي عالم يتقاطع مع عالم الإنسان ويتوازى معه . والإنسان لا يستطيع أن يستغني عن عالم الحيوانات الأليفة ، ودائما ما يأخذ حذره من الحيوانات المتوحشة المفترسة. ومن هنا لجأت الشعوب البدائية ، والمتحضرة ، على السواء ، إلى القص على ألسنة الحيوانات.

المصطلح بين العرب والغربيين

هل يحمل هذا الجنس الأدبي اسما واحدا لدى كل الشعوب ؟

أطلق الأوربيون على هذا الجنس الأدبي مصطلح فابولا FABLE

وأما العرب القدماء ، فقد أطلقوا على هذا الجنس الأدبي مصطلح "الخرافة" وهو مصطلح يفتقد إلى الدقة ، من حيث إنه يختلط بالأسطورة . ثم إن كلمة "خرافة" تحمل ظلالا معينة تقترب بها من معاني السفه والهذيان. والمصطلح الذي استخدمه بعض الدارسين المحدثين "القصة على لسان الحيوان" يشتمل على الدقة ولكنه يفتقد الإيجاز الذي ينبغي أن تتسم به المصطلحات الأدبية.

مر هذا الجنس الأدبي بمرحلتين ، أما المرحلة الأولى فهي المرحلة الشفهية ،وأما المرحلة الثانية فهي مرحلة التدوين.

أما فيما يتعلق بالمرحلة الأولى ، وهي المرحلة الشفهية ، فمن الصعب جدا تحديد نقطة البداية في مسيرة هذا الجنس الأدبي ، عندما كان الناس يتناقلون الحكايات التي يضعونها على ألسنة الحيوانات ، من فم إلى فم ، دون أن تكون مدونة في كتاب ؛ لأن الناس لم يكونوا قد انتقلوا إلى عصر التدوين ، بعد. وكانت الذاكرة الإنسانية هي الوعاء الذي اعتمدت عليه شعوب الأرض ولجأت إليه لتوثيق هذا الجنس الأدبي ، كما هو الشأن مع أجناس أدبية أخرى.

وأما فيما يتعلق بمرحلة التدوين ، فإن أقدم النصوص التي تنتمي إلى هذا الجنس ، ترتبط ، في الغرب باسم الكاتب اليوناني القديم "أيسوب" ، في القرن السادس قبل الميلاد ؛ إذ كتب عددا من الحكايات القصيرة على ألسنة الحيوانات ، وقد كان تركيزها على استخلاص النتائج الخلقية ، أكثر من اهتمامها بالعناصر الفنية. لكنها ، على كل حال ، تمثل أقدم النصوص المكتوبة على لسان الحيوانات ، التي يمكن نسبتها إلى كاتب معين ، وهي ، في الوقت نفسه ، تعد النموذج المشهور لإسهام الأوربيين في هذا الجنس الأدبي العالمي.

يذكر الدارسون أن "أيسوب" ، من خلال حكاياته على لسان الحيوان ، قد تأثر بالتراث الفرعوني المصري القديم. وهو تراث لم يخل من حكايات كثيرة على لسان الحيوان. بل لعله أقدم تراث إنساني وردت فيه حكايات على لسان الحيوان. فمن المعروف أن "أيسوب" كان قد سافر إلى مصر ، وعاش فيها سنين عددا ، وتأثر بما كان شائعا بين المصريين ، من نسج حكايات على لسان الحيوان . وبعد أن عاد إلى بلاده ، كتب قصصه التي اكتسبت شهرة كبيرة بين الأوربيين ، وقد كتب عنها عدد من الفلاسفة والكتاب الغربيين ، من بينهم أفلاطون ، وهومير.

أغرت شخصية "أيسوب" الباحثين الأوربيين ، فكتبوا عنه كلاما اختلط فيه الحق بالباطل ، والواقع بالأسطورة. وهكذا يكون شأن شخصيات تاريخية مهمة ، في فترات موغلة في الزمن ؛ إذ تتحول هذه الشخصيات ، من كونها شخصيات حقيقية تأكل الطعام وتمشي في الأسواق ، إلى شخصيات أسطورية ، فوق مستوى البشر. وعادة ما تكون هذه الشخصيات مادة للخيال الذي تولع به الشعوب. فقد قيل عن " أيسوب" أنه كان عبدا إغريقيا أعتقه سيده ، وقام برحلات إلى الشرق ، بحثا عن المعرفة. وقيل عنه أيضا أنه عُرف في التراث العربي القديم باسم "لقمان" الحكيم.

وإذا كان "أيسوب" هو رمز الإسهام الأوربي في نشأة هذا الجنس الأدبي القديم ، فإن بعض العقائد الشرقية القديمة ، أسهمت بدورها في شيوع جنس قصص الحيوانات؛ إذ كانت عقيدة تناسخ الأرواح ، في الهند ، قد أفسحت المجال لقيام تصور تعبر من خلاله الروح الإنسانية إلى الخلود ، عن طريق حلولها في أجساد الحيوانات. وذلك التصور أتاح لقصص الحيوانات قدرا كبيرا من الانتشار ، باعتبارها تمثيلا لمرحلة من مراحل تطور الإنسانية.

وكما أصبح "أيسوب" رمزا أسطوريا لإسهام الغرب القديم في جنس القصة على لسان الحيوان ، أصبح الحكيم الهندي "بيدبا" رمز الإسهام الشرقي في هذا الجنس. ومثلما لم تخل شخصية "أيسوب" من جوانب أسطورية ، لم تخل شخصية "بيدبا" كذلك من هذه الجوانب. يذكر الدارسون أن "بيدبا" عاش في القرن الثالث قبل الميلاد ، وأعاد جمع قصص الحيوانات التي كانت رائجة في ذلك القرن ، ومنسوبة إلى البراهمة المجهولين ، ثم صنف كتابا يحمل عنوان "بانكا تنترا" ، الذي لم يصلنا منه إلا كتاب "كليلة ودمنة" الذي ترجمه عبد الله بن المقفع عن ترجمة فارسية ضاعت.

يشير الدارسون إلى أن كتاب "كليلة ودمنة" ، قبل ترجمة عبد الله بن المقفع ، كان مكونا من خمسة أبواب ، فحسب ، وجرى تغيير العنوان ، ليصبح "القصص الخمسة". لكن أُضيف إليه أبواب أخرى ، في الترجمتين الفارسية والعربية ، ليصل عدد أبواب الكتاب إلى سبعة عشر بابا ، ويتغير عنوانه للمرة الثالثة ، ليصبح "كليلة ودمنة" ، حاملا اسم الحيوانين الرئيسيين اللذين يتجاذبان الرأي ، ويمثلان محورين متعارضين للخير والشر ، في الباب الأول من الكتاب ، وهو باب الأسد والثور.

ارتبطت ترجمة الكتاب من اللغة السنسكريتية إلى اللغة الفارسية باسم الطبيب "برزويه" ، من خلال مغامرة قام بها إلى بلاد الهند ليصل إلى هذا الكتاب ، الذي كان الهنود قد أخفوه في خزائن ملوكهم، لكي لا تصل إليه أيدي منافسيهم وأعدائهم التقليديين من الفرس. وقد بلغت رحلة برزويه من الغرابة حدا جعلها تستحق أن تحتل جزءا من صلب الكتاب ذاته ، وأن يكون أحد أبوابه يحمل عنوان "باب برزويه".

ثم كانت الترجمة العربية التي قام بها هذا الفارسي المزدكي "روزبة ابن داذويه" الذي اشتهر باسمه العربي الذي اكتسبه بعد أن اعتنق الإسلام وهو "عبد الله بن المقفع". وهي ترجمة اكتسبت من الشهرة ، وأحدثت من التأثير ، ما لم يحظ به الكتاب في أصوله الأولى.

وكما كانت الترجمة الفارسية قد أضافت إلى الأصل الهندي قصصا لم تكن فيه ، وزادت في مقدمته بابا عن "برزويه" ، فإن الترجمة العربية ، بدورها قد أضافت ، إلى المقدمات مقدمة أخرى بعنوان "باب عرض الكتاب" لعبد الله بن المقفع. وبهذا صار النص مسبوقا بأربع مقدمات هي : مقدمة الكتاب لبهنود سحوان، ويعرف بعلي بن شاه الفارسي، ثم بعثة برزويه إلى الهند ، ثم باب عرض الكتاب لروزبة ابن داذويه ، ثم باب برزويه لبزرجمهر بن البختان. وهذه المقدمات تحتل نحو ثلث الكتاب ، قبل أن نصل إلى بابه الأول وهو "باب الأسد والثور". على أن الترجمة العربية ، فيما يبدو ، أضافت إلى الكتاب ، من بين ما أضافت ، الباب الثاني، وهو "باب الفصح عن أمر دمنة"

مرت الحكايات على لسان الحيوان بـ	مرحلة واحدة	مرحلتين	ثلاث مراحل	أربع مراحل
الذي ترجم كتاب كليلة ودمنة من الفارسية إلى العربية هو	برزويه	عبد الله بن المقفع	بيدبا	عبد الحميد الكاتب
أقدم قصص على لسان الحيوان في أوربا ترجع إلى القرن	الثاني قبل الميلاد	الثالث قبل الميلاد	السادس قبل الميلاد	السابع قبل الميلاد
عاش بيدبا في القرن	الثاني قبل الميلاد	الثالث قبل الميلاد	الرابع قبل الميلاد	الخامس قبل الميلاد

ألف ليلة وليلة: دراسة مقارنة

رحلة الكتاب من الشرق إلى أوربا

بدأت نقطة الانطلاق من سورية ، ثم أخذت طريقها إلى فرنسا . ومن هناك ارتادت طرقا كثيرة إلى أن انتشرت في أوربا كلها ، على امتداد القرن الثامن عشر ، قبل أن يظهر الكتاب مطبوعا باللغة العربية في القرن التاسع عشر. وتفصيل ذلك أن : الكتاب انتقل إلى أوربا ، على يد أنطوان جالون ، في أوائل القرن الثامن عشر ، عندما كان هذا الرجل سفيرا لفرنسا في القسطنطينية ، في عهد لويس الرابع عشر ، وكان يعرف الفرنسية والفارسية والتركية والعربية . قام بجولة على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ، استغرقت زهاء عامين ، تجول ، أثناءها في كل من فلسطين وسورية ، من بين بلاد أخرى ، في منطقة الشام . وفي إحدى زياراته لمدينة حلب السورية ، وجد مخطوطة لألف ليلة وليلة ، يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر الميلادي ، فاشتراها ونقلها معه إلى فرنسا ، وشرع في ترجمتها في عام 1704 ، لتظهر طبعتها الفرنسية الأولى في ذلك العام ، قبل أن تظهر أول طبعة عربية بأكثر من مائة عام. وكانت أقدم طبعة عربية قد ظهرت في كلكتا بالهند في عام 1814 ، في بدايات القرن التاسع عشر، في حين ظهرت أول طبعة عربية داخل حدود الوطن العربي ، في القرن التاسع عشر أيضا ، في مطبعة بولاق بمصر في عام 1835.

نقطة البدء في اكتساب كتاب ألف ليلة وليلة شهرة عالمية كانت من	القاهرة	اسطنبول	بغداد	حلب
أول دولة أوربية ظهرت فيها ترجمة كتاب ألف ليلة وليلة هي	إيطاليا	ألمانيا	فرنسا	إنجلترا
أول من روّج لكتاب ألف ليلة وليلة لكي يأخذ طريقه إلى العالمية	جوته الألماني	وليم شكسبير الإنجليزي	بنديتو كروتشه الإيطالي	أنطوان جالون الفرنسي
أقدم ترجمة أوربية	الإسبانية	الفرنسية	الإيطالية	الإنجليزية

لكتاب ألف ليلة وليلة كانت باللغة				
أقدم طبعة عربية لكتاب ألف ليلة وليلة ظهرت في	إسلام أباد	كلكتا	القاهرة	بغداد
أول طبعة عربية لكتاب ألف ليلة وليلة داخل حدود الوطن العربي صدرت في	القاهرة	دمشق	بغداد	الدار البيضاء
صدرت أول طبعة فرنسية لكتاب ألف ليلة وليلة في القرن	السادس عشر	السابع عشر	الثامن عشر	التاسع عشر

أهمية كتاب ألف ليلة وليلة:

سيظل كتاب ألف ليلة وليلة واحدا من الكتب القليلة التي طافت المشارق والمغارب ، وترجمت إلى معظم لغات العالم . وأصبحت الشغل الشاغل لطوائف كثيرة من البشر ، من بينهم الفيلسوف المتعمق ، والمؤرخ المدقق ، وعالم الاجتماع ، والباحث في تطور اللغة ، أو في انتقال الأساطير ، أو في اختلاط تعاليم الديانات بعادات الشعوب ، إلى جانب جمهور عريض لا يحد من طلاب التسلية والمتعة ، وعشاق الرحلة في عالم الجن والخيال. قال عنه واحد من النقاد الفرنسيين أن كتاب ألف ليلة وليلة سيظل " من خلال سحره ، الكتاب الوحيد في الأدب العالمي – دون شك – الذي نرغب عندما ننتهي من قراءة صفحته الأخيرة أن نبدأ فيه من جديد ، والذي يتميز بأنه أفضل نص يبلغ رسالة ، دون أن يبدو عليه ، على الإطلاق ، أنه يريد ذلك".

كيف تفاعل الأوربيون مع كتاب ألف ليلة وليلة:

منذ أن ظهرت الترجمة الأولى لكتاب ألف ليلة وليلة إلى اللغة الفرنسية ، في عام 1704 ، على يد الدبلوماسي الفرنسي أنطوان جالون ، بدأ الكتاب يكتسب كل يوم أرضا جديدة ، وتزداد شهرته يوما بعد يوم ، إلى أن أصبح الكتاب حديث الناس العاديين ، إلى جانب العلماء المتخصصين حقول علمية مختلفة، ومن بينهم على نحو خاص علماء الدراسات الأدبية المقارنة.

مرحلة السريان والتأثر:

مر الكتاب ، من خلال تداوله بين أيدي الأوربيين ، بمرحلتين متميزتين ؛ أما أولاهما ، فهي مرحلة القرن الثامن عشر ، وأما الأخرى فهي مرحلة القرن التاسع عشر. المرحلة الأولى من المرحلتين المذكورتين ، هي ما يمكن أن نطلق عليه مرحلة السريان والتأثر. ويقصد بها تفاعل الأوربيين مع الكتاب، من حيث الاستيعاب والتمثل والتأثر. فقد شاعت موجة لمحاكاة كتاب ألف ليلة وليلة ، باللغة الأوربية المختلفة ، تأليفا وترجمة. الذي حدث أن الكتاب أثار حالة من الدهشة لدى الأوربيين ، وفتح أعينهم على عوالم مختلفة لم يكن لهم بها عهد من قبل. وبدأت الترجمات يزاحم بعضها بعضا لنشهد ترجمات إلى اللغة الفرنسية في عام 1704 ، و1899 و 1966 و1967 . وترجمات إلى الإنجليزية في عام 1841 و1888 و1889 ، وترجمات إلى اللغة الألمانية في عام 1899 وعام 1928 ، وترجمات إلى اللغة الروسية في عام 1936 وترجمة إلى اللغة الإسبانية في عام 1960 ، من بين ترجمات أخرى كثيرة.

وكلما كثرت الترجمات تكاثر القراء ، وبدأ نفر من المفكرين الأوربيين يثنون على الكتاب ، من حيث تأثيره في المجتمعات الأوربية . فقد قال جون لمبير: "إن شخصية شهر زاد أثرت تأثيرا حاسما في تاريخ المرأة الأوربية ، وجعلت من القرن الثامن عشر أعظم القرون في حياتها. وكان لجمالها وثقتها في نفسها ، وتصديها وحدها لشهريار الذي عجز كل الرجال عن أن يوقفوه ، واستخدامها لسلاح الأنوثة والمعرفة معا ، كان لهذا كله أثر كبير في تكوين شخصية المرأة الأوربية". ويضيف جون لمبير: " إن فكرة الحب في أوربا لم تعد بعد ظهور ألف ليلة وليلة كما كانت قبلها. فلقد كان ديكارت ، منذ القرن السابع عشر ، قد حول بفلسفته شعور الحب ، إلى شعور عقلي محسوب النتائج. وكان كورني قد أخضعه لفكرة

التقاليد الكلاسيكية. وأصبح عند راسين لونا من الضعف. لكن ألف ليلة وليلة جعلت الحب مصدر المتعة الحقيقي ، حيث يبدو القانون الطبيعي سيدا ، يعلو على كل الحواجز والنصائح التي تحول بين الكائن البشري وبين تحقيق ذاته".

مرحلة الدراسة والتحليل:

ومع بزوغ شمس القرن التاسع عشر ، دخل الاهتمام بألف ليلة وليلة ، في أوربا ، مرحلة جديدة، واكبت المرحلة السابقة . في هذه المرحلة الجديدة ، وهي مرحلة الدراسة والتحليل ، أخضع الدارسون الليالي المذكورة في الكتاب إلى الفحص والدرس. فمنهم من جعل يبحث عن الأصول التاريخية التي جاءت منها هذه الليالي. وكان أول من شرع في ذلك سلفستر دي ساسي ؛ إذ أعد دراسة في عام 1817 حول أصول ألف ليلة وليلة. وفي هذا الصدد استبعد فكرة أن يكون مؤلف الكتاب فردا واحدا ، ورجح أن تكون الليالي قد كتبت في مرحلة زمنية قريبة من فترة اختلاط الثقافات الفارسية والهندية والعربية وتداخلها.

ثم جاء أوجست مولر ليأخذ الخيط الخاص بتعدد مصادر ألف ليلة وليلة ، من سلفستر دي ساسي ، ويفرق بين نوعين من الليالي ، أطلق على النوع الأول القصص البغدادي ، وأطلق على النوع الثاني القصص القاهري أو المصري.

ومن بعد أوجست مولر ، جاء نابيا في عام 1949 ليقسم الأطوار التي مر بها تأليف كتاب ألف ليلة وليلة إلى ستة مراحل هي:

1- ترجمة كتاب "هزار أفساتة" في القرن الثامن الميلادي.
2- تعريب كتاب "هزار أفساتة" بشكل كلي أو جزئي ، في القرن الثامن.
3- كتاب " ألف ليلة" في القرن التاسع وقد تضمن أهم عناصر المرحلتين السابقتين عربيا وفارسيا.
4- كتاب " ألف سمر" الذي كتبه ابن عبدوس الجهشياري في القرن العاشر.
5- كتاب قصص أخرى أُلف في القرن الثاني عشر ، واحتوى على قصص مصرية محلية وأخرى آسيوية. وربما ظهرت كلمة" ألف ليلة وليلة" في هذه المرحلة.

6- المرحلة الأخيرة التي أضيفت فيها بعض القصص المتعلقة بالحروب الصليبية ، ودخول الأتراك إلى سورية ومصر في القرن السادس عشر.

المرحلة الأخيرة من المراحل التي مر بها تأليف كتاب" ألف ليلة وليلة" جرت في القرن	الثاني عشر	الثالث عشر	الرابع عشر	السادس عشر
أول ترجمة لألف ليلة وليلة إلى اللغة الإنجليزية صدرت عام	1831	1841	1851	1861
كتاب " ألف سمر" الذي كتبه ابن عبدوس الجهشياري ظهر في القرن	السابع الميلادي	الثامن الميلادي	التاسع الميلادي	العاشر الميلادي
انطلقت موجة محاكاة لكتاب "ألف ليلة وليلة" في أوربا في القرن	الخامس عشر	السادس عشر	السابع عشر	الثامن عشر
ظهرت ترجمة كتاب "هزار أفساتة" في القرن	الخامس الميلادي	الثامن الميلادي	التاسع الميلادي	العاشر الميلادي
يعد القرن الثامن	السريان والتأثير	التمهيد والتبشير	الدراسة والتحليل	الجمود والتأخير

عشر هو في تاريخ "ألف ليلة وليلة" هو مرحلة				
"إن شخصية شهر زاد أثرت تأثيرا حاسما في تاريخ المرأة الأوربية". قائل العبارة السابقة هو	سلفستر دي ساسي	جون لمبير	أوجست مولر	أنطوا جالون
ترجم كتاب ألف ليلة وليلة إلى اللغة الإسبانية في عام	1860	1760	1560	1700

قضية التأثير العربي على شعراء التروبادور

ظهرت حركة شعراء التروبادور في أوربا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، في كل من إسبانيا وفرنسا وإيطاليا وإنجلترا وألمانيا ، بتأثير من الأدب العربي في الأندلس. وكان أول من أشار إلى هذا التأثير العربي المستشرق ج.م. باربيير ، في نهايات القرن السادس عشر. وقد أكد هذه التأثيرات المستشرق الإسباني ج. أندري في نهاية القرن الثامن عشر.

حمل شعراء هذه الحركة الشعرية للمجتمع الأوربي فكرة سامية عن الحب والمرأة ، وقد تجلت هذه الفكرة من خلال اللغات الأوربية الحديثة الدارجة ، مما أكسبها جماهيرية كبيرة. وعدت هذه الظاهرة واحدة من الظواهر التي حملت النهضة إلى القارة الأوربية.

[أصل الكلمة]وكلمة "التروبادور" التي تحمل عنوان الحركة ، قادمة ، في رأي بعض الدارسين ، من الكلمة العربية "طرب" التي كان يشيع استعمالها بمعنى الغناء في الأندلس. ثم أضيفت إليها اللاحقة اللاتينية التي تشكل اسم الفاعل . فأصبحت الكلمة عتني: المغني شعرا. وقد كان الذين يقومون بهذا الغناء طائفة من الشعراء الجوالين ، الذين كان يطلق عليهم اسم "التروفيتر" أو "الجونجليز". وهؤلاء كانوا يقومون بدور المسلي والنديم في قصور الأغنياء، ويدور المغني الجوال في الشوارع ، بثا للمتعة وبحثا عن العطاء. وهناك طائفة أخرى من شعراء التروبادور ، لم يكونوا يمارسون الغناء ، وكان منهم أمراء أشهرهم جيوم التاسع أمير مدينة "بواتييه" الواقعة جنوب فرنسا.

الملمح العام لشعر شعراء التروبادور يقوم على إجلال المرأة وتقديرها ونشدان مرضاتها. ويخضع الفارس القوي أمام محبوبته خضوعا لا ينتقص من فروسيته بقدر ما يكملها. وهم جميعا ينشدون لونا من المتعة يقوم على الحرمان أكثر من انبعاثه من الاتصال. ويظل المحبوب ، رغم الحرمان وفيا.

هذا اللون من الحب لم يكن معروفا لدى الأوربيين من قبل ، ولكنه كان منتشرا على نطاق واسع في المجتمعات العربية. وكانت فكرة "الحب العذري" قد نضجت على نحو قوي بعد انتشار الإسلام . وظهر في جزيرة العرب شعراء وقعوا في هوى محبوباتهم ، وفاضت ألسنتهم بالحب شعرا. لكن هؤلاء الشعراء ظلوا ، رغم الحرمان ، أوفياء لمحبوباتهم ، حتى أدركهم الموت. وكان من أقوى هذه النماذج وأشهرها قيس بن الملوح "مجنون ليلى" ، وجميل بثينة ، وكثير عزة.

امتزجت هذه الفكرة بروح الحضارة الإسلامية ، وتمثلت في فكرة المتصوفة وعشاق الحضرة الإلهية ، لتثمر نوعا جديدا من الحب يطلق عليه اسم "الحب الإلهي". وحمل الشعر العربي القديم نماذج من الحب الإلهي والفناء في الذات الإلهية. ومن أشهر نماذج هذا الحب "رابعة العدوية". لم يكن هذا النمط الجديد من الحب الإلهي منبت الصلة بالحب العذري ؛ فقد استعمل اسم (ليلى) رمزا للذات الإلهية في أشعار عشاق المتصوفة.

[التنظير للفكرة]أسهمت الفلسفة الإسلامية في تأصيل الفكرة وتعميقها ، وقد تجلى ذلك في أول كتاب عن هذا النوع من الحب ، ألفه الفقيه الظاهري المسلم ابن أبي داود الظاهري في القرن التاسع الميلادي ، قبل ظهور حركة شعراء التروبادور بنحو ثلاثة قرون ، وقد حمل الكتاب عنوان "الزهرة".

لم يكن كتاب ابن أبي داود الكتاب الوحيد الذي صنفه العرب حول فكرة الحب والفروسية ؛ فقد ألف ابن حزم الأندلسي ، في القرن الحادي عشر ، كتابا آخر في فلسفة الحب ، حمل عنوان "طوق الحمامة في الألفة والألاف".

[الاعتراف الأوربي]انتقل هذا الفكر الجديد - إبداعا وتنظيرا - مع العرب إلى الأندلس ، حين أقاموا دولتهم التي قدر لها أن تترك تأثيرا واضحا على التفكير الأوربي عامة ، وعلى تفكير الشعوب اللاتينية خاصة . وقد أقر بهذا التأثير كثير من المفكرين الأوربيين. يقول هنري مارو : "إن التأثير العربي على حضارة الشعوب الرومانية ، لم يقف عند حدود الفنون الجميلة فقط ، التي كان التأثير فيها واضحا ، وإنما امتد كذلك إلى الموسيقى والشعر".

[**عوامل الظهور**]ولما كانت اللغة العربية ، في الأندلس ، هي لغة التقدم العلمي ، ولغة الأوساط الراقية ، في المجتمع الأوربي ، يضاف إلى ذلك امتزاج الجالية العربية بالجالية المسيحية – أدى كل أولئك إلى شيوع فكرة الحب السامي وارتباطه بالفروسية بين الأوربيين . وكان بلاط الأمراء يلتقي فيه شعراء عرب وآخرون مسيحيون ويهود. وثمة وثائق عُثر عليها تدل على اجتماع عدد من الشعراء الجوالين ، من عرب وعجم ، في بلاط ألفونسو العاشر. وثمة دلائل على أن نفرا من الشعراء الجوالين كانوا ينظمون شعرا باللغة العربية.

[**تجليات الانتشار**] في ظل هذا المناخ الثقافي العام ، الذي امتزج فيه العرب بالأوربيين ، وصلت فكرة الحب والفروسية إلى خارج الأندلس ، وتعمقت في مناطق أخرى ، من بينها جنوب فرنسا ، وتركت آثارها لدى شعراء آخرين ، من بينهم الأمير جيوم التاسع كونت بواتييه ، الذي اتصل اتصالا وثيقا بالشعر العربي في الشرق وفي الأندلس ؛ حيث لم يكتف بالشعر العربي في الأندلس وحدها ، بل سافر

إلى الشرق ، واشترك في الحروب الصليبية. ومن التراث الأدبي الذي خلفه جيوم التاسع عُثر على تسع قصائد ، تعد البداية الحقيقية لشعر التروبادور.

وحين قدر للأميرة الفرنسية "إليونور" أن تتزوج أحد أمراء إنجلترا ، اصطحبت معها شعراء بلاطها من منشدي التروبادور ، فنشروا بدورهم الفكرة في إنجلترا. ثم انتشرت بعد ذلك في ألمانيا وإيطاليا. ومن قبل كانت قد استقرت في إسبانيا.

[**أوجه التشابه شكلا ومضمونا**] تتشابك قصيدة التروبادور من حيث الشكل الإيقاعي والموسيقي مع الموشحة الأندلسية من جانب ، ومع الزجل من جانب آخر. وكان هذان الفنان شائعين في الأندلس ؛ إذ كان يمتزج فيهما اللغتان العربية والإسبانية المحلية التي كانت تسمى بالرومانثية. وإذن فإن ملامح الامتزاج بين شعر شعراء التروبادور والشعر العربي ، لم يكن مقصورا على مضمون القصيدة وحدها ، التي تجمع بين الحب والفروسية ، الذي كان منبعه الحب العذري ، بل كان هناك تشابك من حيث الشكل الإيقاعي والنغمي كذلك.

كلمة "التروبادور" من أصل	هندي	فارسي	عربي	عبري
ظهرت حركة شعراء التروبادور في	السويد	روسيا	تشيكو سلوفاكيا	جنوب فرنسا
ارتبط شعر التروبادور بفكرة	الحب السامي والفروسية	الحب الماجن	الرثاء	الهجاء
عدد القصائد التي عثر عليها الباحثون من شعر التروبادور للأمير جيوم التاسع	ثلاث قصائد	سبع قصائد	تسع قصائد	إحدى عشرة قصيدة
"إن التأثير العربي على حضارة	هنري مارو	هنري برجسون	هنري بيريس	هنري ريماك

الشعوب الرومانية ، لم يقف عند حدود الفنون الجميلة فقط ، التي كان التأثير فيها واضحا ، وإنما امتد كذلك إلى الموسيقى والشعر" تنسب هذه العبارة لـ				

الأدب المقارن: النشأة ومجالات البحث ومناهجه:

عندما نتكلم عن نشأة الأدب المقارن ، لابد أن نفرق بين أمرين مهمين ، يمثل كل منهما مرحلة، من مراحل ، تاريخ هذا العلم. وهذان الأمران ليسا مقصورين على علم الأدب المقارن ، وإنما يشملان كل العلوم الإنسانية والتجريبية على السواء . الأمر الأول هو ما يُطلق عليه "الظاهرة" ، والأمر الثاني هو ما يطلق عليه "القانون". كل العلوم الإنسانية يتمثل فيها هذان الأمران. وعادة ما تأتي الظواهر أولا ، ثم يأتي بعد ذلك القانون. فما الذي نقصده بالظاهرة؟ ، وما الذي نقصده بالقانون ، فيما يتعلق بالأدب المقارن ؟

حقيقة الأمر أن المقصود بالظاهرة ، في حقل الأدب المقارن ، تلك العلاقات التي نشأت بين الآداب المختلفة ، منذ قديم الزمن. وقد ترتب على وجود تلك العلاقات أن تبادلت الآداب ظواهر التأثير والتأثر ، فيما بينها. فلا يوجد أدب من آداب أمم الشرق والغرب عاش في عزلة عن غيره من الآداب الأخرى ، وانغلق على نفسه ، بحيث لم يؤثر فيها أو يتأثر بها ، وحدثت بينه وبينها قطيعة ؛ لأن العزلة تعني الموت ، والانغلاق يعني الجمود ويعني الفناء.

ولنضرب لذلك بعض الأمثلة. فالأدب الروماني تأثر كثيرا بالأدب اليوناني أو الإغريقي ، في أعقاب غزو الرومان للعاصمة اليونانية أثينا عام 146 قبل الميلاد. الذي حدث أن روما انتصرت عسكريا على اليونان، ودخل جنودها أثينا. ولكن اليونان ، وإن هُزمت عسكريا ، كانت من النواحي الأدبية والثقافية ،

أعلى كعبا من المحتلين الرومانيين. فلم يجد الرومانيون بدا من الاستسلام لقوة الأدب اليوناني وعظمته وسحره ، الأمر الذي يعني أن روما كانت منهزمة ثقافيا وأدبيا ، أمام الأدب اليوناني ، على الرغم من قوتها العسكرية. ومن أجل تجاوز هذه الأزمة ، الثقافية والفكرية والأدبية ، كان لابد أن يحاكي الشعراء الرومانيون أقرانهم من الشعراء اليونانيين. فنشأت حركة محاكاة وتقليد للأدب اليوناني ، على نطاق واسع. وقد أسفرت هذه المحاكاة عن وجود ظاهرة ثقافية جديدة ، لم يكن للرومانيين عهد بها من قبل ، وقد تمثلت هذه الظاهرة في تأثر الشعر الروماني بالشعر اليوناني.

فهذا ، إذن ، مثل من أمثلة انتشار ظاهرة التأثير والتأثر ، بين الآداب ، قبل أن يلوح في الأفق علم جديد اسمه علم الأدب المقارن ، الذي ينظم هذه الظاهرة ويرتبها ويضع لها القوانين. ويعد هذا الشاهد أقدم مظهر من مظاهر التأثير والتأثر بين الآداب ، على امتداد تاريخ البشرية.

الشاهد هنا أن هذه الظاهرة التي وجدت في نهايات النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد ، جاءت سابقة على ظهور قانون الأدب المقارن ، الذي لم يظهر إلا في القرن التاسع عشر. فلم يكن لمصطلح الأدب المقارن ، ولا لمناهج الأدب المقارن وجود قبل القرن التاسع عشر.

وهناك أمثلة أخرى على انتشار ظواهر التأثير والتأثر بين الآداب ، قبل وضع قوانين لها ودراستها دراسة علمية ، في حقل الأدب المقارن. من هذه الأمثلة ، أن الأدب العربي تبادل أيضا ظواهر التأثير والتأثر مع الآداب الأخرى الشرقية والغربية ، في أعقاب موجة الفتوحات الإسلامية ، التي انتشرت شرقا حتى وصلت إلى الصين ، وتمددت غربا حتى وصلت جنوب غرب أوربا ، في الأندلس ، ليتأثر الأدب العربي بالآداب الشرقية ويؤثر فيها ، ويتبادل التأثير والتأثر مع الآداب الغربية ، عن طريق الأندلس وصقلية. لم يكن لهذه الظواهر وجود قبل عصر الفتوحات الإسلامية . لماذا؟ لأن العرب كانوا يعيشون داخل حدود الجزيرة العربية ، ولم يكادوا يخرجون منها إلا قليلا، بحيث يمثل هذا الخروج خارج الحدود ظاهرة لافتة للأنظار.

وفي العصر الحديث ، في أعقاب الحملة الفرنسية على مصر ، بدأت تتفتح منافذ أخرى لظاهرة التأثير والتأثر بين الأدب العربي والآداب الأوربية ، فقد تأثر الأدب العربي كثيرا بالآداب الغربية ، وظهرت

آثار هذا التأثر في الشعر ، وظهور أنواع أدبية جديدة ، لم تكن موجودة عند العرب ، من قبل ، مثل الرواية ، والمسرح ، وفنون أخرى.

لكن كل هذه الظواهر من التأثير والتأثر بين الآداب ، جرت أحداثها ووقائعها ، قبل أن ينشأ العلم الذي ينظمها ويضع لها القوانين ، وهو علم الأدب المقارن ، الذي لم يكن له وجود قبل القرن التاسع عشر.

من خلال هذه الأمثلة ، نستطيع أن نصل إلى نتيجة مؤداها أن الظاهرة أسبق من القانون، وأن انتشار الظاهرة يمثل مرحلة تاريخية ، وأن القانون الذي يدرسها يمثل مرحلة تاريخية أخرى لاحقة.

في تاريخ الأدب المقارن (الظاهرة) أسبق من (القانون)	صواب	خطأ		
أقدم مظهر لتأثير أدب في أدب كان في القرن	5 ق.م.	4 ق.م.	3 ق.م.	2 ق.م.
أول مظهر من مظاهر تبادل الأدب العربي التأثير والتأثر مع الآداب الأخرى كان في	العصر الجاهلي	العصر الحديث	في أعقاب الفتوحات الإسلامية	في العصر الجاهلي
ظهر علم الأدب المقارن في القرن	الثاني قبل الميلاد	الرابع عشر	السابع عشر	التاسع عشر

إذا كانت ظواهر التأثير والتأثر بين الآداب تمتد حتى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد ، فإن علم الأدب المقارن لم يظهر إلا في القرن التاسع عشر. أي أن الفاصل الزمني بين الظاهرة والقانون هنا يزيد على عشرين قرنا من عمر الزمن. وهنا سنجد أنفسنا أمام سؤال هو :

لماذا تأخر ظهور الأدب المقارن كل هذه القرون؟

للإجابة على هذا السؤال لابد أن نقول: إن الظروف التاريخية التي كانت تمر بها أمم الشرق والغرب ، وقفت حائلا دون ظهور هذا العلم. من بين هذه الظروف ، نظرة التعصب التي كانت تتبادلها الشعوب والأمم فيما بينها ، في العصور الوسطى وما قبلها. وهي نظرة كان يعتقد من خلالها كل شعب أن لغة غيره من الشعوب الأخرى ، أقل قدرا من لغته هو. تتجلى هذه النظرة من التعصب ، من خلال ظلال كلمة (الأعجمي) في اللغات المختلفة . فهذه الكلمة ، عند الغربيين ، كانت تعني البربري المتوحش الهمجي. وهي عند العرب لم تكن تفرق بين المتحدث بلغة أخرى غير العربية ، والحيوان الأعجم. وهذه كلها معان ازدرائية لأبناء الشعوب الأخرى.

ولنضرب مثلا من عند العرب ، ومثلا آخر من عند غير العرب. أما فيما يتعلق بالعرب ، فإن (الجاحظ) مثلا ، وهو من هو في تاريخ الثقافة العربية ، كان متعصبا للغة العربية ، ضد غيرها من اللغات الأخرى. فهو يقول : " والبديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان".

وأما فيما يتعلق بغير العرب ، فإن الكاتب الفرنسي (بوهور) ، كان متعصبا للغة الفرنسية ، ضد غيرها من اللغات الأخرى. فهو يقول : " إن نطقنا نحن الفرنسيين هو النطق الطبيعي. فلغة الصينيين والآسيويين غثاء ، وكلام الألمان صخب وضوضاء ، وحديث الإسبان موقع ، ومنطق الإيطاليين زفير ،

ولغة الإنجليز صفير. والفرنسيون وحدهم هم الذين يتكلمون".

فهذه النزعة من التعصب التي كانت منتشرة ، في الشرق والغرب ، كانت واحدا من أهم عوامل تأخر ظهور علم الأدب المقارن ، حتى القرن التاسع عشر.

وهناك عامل آخر من عوامل تأخر ظهور الأدب المقارن حتى القرن التاسع عشر ، وهو تلك النظرة التي كانت تحكم فلسفة الجمال حتى القرن السابع عشر ، في أوربا ؛ إذ كان الرأي السائد أن هناك نموذجا للجمال المطلق في الفن ، عجزت كل الآداب عن الوصول إليه ، ما عدا الأدبين اليوناني واللاتيني القديمين. ومن ثم نشأت الدعوة إلى محاكاة هذين الأدبين ، من أجل الارتقاء بالآداب الأخرى. وهو أمر لم يرض رجال الكنيسة الذين كانوا يعتقدون أن الأدبين اليوناني واللاتيني أدبان وثنيان. وخطورة هذه الدعوة أنها كانت تحجب الأنظار عن إمكانية دراسة الآداب المعاصرة ، وتتبع مظاهر التأثير والتأثر بينها.

لكن القرن الثامن عشر ، كان قرن التغيير الشامل في الاتجاه. ففي هذا القرن استيقظ الاهتمام بأدب الأجانب ، وتبدلت النظرة للأجنبي ، وظهرت بيئة من العلماء ، تحارب العزلة ، وتدعو إلى ضرورة إحداث تقارب بين الشعوب من خلال دراسة آدابهم. ففي فرنسا دعا كل من فولتير وديدرو إلى دراسة الأدب الإنجليزي. ومن العبارات المأثورة عن ديدرو أنه دافع عن الأديب الإنجليزي الشهير وليم شكسبير ، وقال عنه : " إنه العملاق الذي سنمر جميعا من بين قدميه". ودعت مدام ديستال ، صاحبة كتاب (عن ألمانيا) إلى دراسة الأدب الألماني. وكانت تقول: "إن الأمم ينبغي أن تستهدي كل واحدة بالأخرى. ومن الخطأ الفاحش أن تبتعد أمة عن مصدر ضوء يمكن أن تستعيره. إن هناك أشياء شديدة الخصوصية يفترق بها كل شعب عن الآخر: المناخ ، الإطار الطبيعي ، اللغة ، نظام الحكم ، ثم على نحو خاص حركة التاريخ الخاصة بكل شعب ، التي تسهم أكثر من غيرها في إعطائه خصوصيته. وليس هناك إنسان أيا كان ، نصيبه من العبقرية يستطيع أن يحدس بما يعتمل ويتطور تطورا طبيعيا داخل روح الإنسان الذي يعيش على أرض أخرى ويتنفس هواء آخر. ولكن توجد في كل أمة طائفة يمكن أن تتأثر بالثقافة

الأجنبية . وقانون الفكر يقضي بأن الذي يأخذ هو الذي تزداد ثروته". ودعا سانت بيف إلى الاستفادة من مناهج العلوم التجريبية ، في دراسة الأدب ، وهو ما يطلق عليه ، في الوقت الراهن ، الدراسات البينية. وقد وسع هيبولت تين دائرة الاهتمام بدراسات تاريخ الأدب خارج الحدود السياسية والجغرافية واللغوية.

هذا النشاط العلمي ، حرك المياه الراكدة ، على امتداد قرون ، فكان عاملا مساعدا على كسر الجمهود الذي كان مهيمنا على شعوب الأرض وآدابها. وكان مفتاح هذا التغيير ، كما يقول رفائيل مولهو: " إن فكرة الاستقرار والتوحد، حل محلها فكرة الحركة والتنوع. وحل الاهتمام بالإنسان محل الاهتمام بالتاريخ . ووجد ما يمكن أن يسمى بالعلوم الإنسانية. وبدلا من وجود فكرة الحقيقة الواحدة ، نشأت فكرة إمكانية وجود الحقائق المتعددة"

" إن فكرة الاستقرار والتوحد، حل محلها فكرة الحركة والتنوع" قائل هذه العبارة هو	سانت بيف	نولدكه	نيتشه	رفائيل مولهو
" إنه العملاق الذي	فولتير	جوبار	كاريه	ديدرو

سنمر جميعا من بين قدميه" قائل هذه العبارة هو				
" والبديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان" هذا الاقتباس منسوب إلى	ابن قتيبة	ابن حزم	عبد القاهر الجرجاني	أبو عمرو بن بحر الجاحظ
" وقانون الفكر يقضي بأن الذي يأخذ هو الذي تزداد ثروته". العبارة السابقة من كلام	مدام دي ستال	فولتير	جوزيف تكست	بودلير
تبدلت النظرة للأجنبي في القرن	الثاني عشر	الرابع عشر	السادس عشر	الثامن عشر

في القرن التاسع عشر ولد علم "الأدب المقارن" ، وظهر هذا التعبير لأول مرة في فرنسا عام 1828 على يد جون جاك أمبير الذي أعطى محاضراته في هذه الفترة في جامعتي مرسيليا وباريس ، وجعل عنوانها "الأدب المقارن". وفي نفس الوقت كتب فيلمان أول كتاب منهجي في الأدب المقارن عن "أدب القرن الثامن عشر" وقد درس فيه هذا الأدب في فرنسا وإنجلترا وألمانيا. ومنذ هذا التاريخ وأبحاث

هذا الفرع تتسع لتشمل كثيرا من البلاد ، وفروعه تغطي كثيرا من مجالات الالتقاء الفكري والفني بين الشعوب. ومناهج البحث فيه تتعدد ، ولكنها على الإجمال يمكن أن تتلخص في منهجين رئيسيين هما:

المنهج التاريخي أو الاتجاه الفرنسي: وقد ظهر هذا الاتجاه ، كما هو معروف في فرنسا. في حين ظهر المنهج النقدي أو الاتجاه الأمريكي في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تعايشت المدرستان الفرنسية والأمريكية ، ولم تلغ إحداهما الأخرى.

الأدب المقارن في مؤلفات الرواد العرب:

وعندما ننتقل إلى العالم العربي لمعرفة وضعية الأدب المقارن في مؤلفات الرواد العرب ، سنجد أن الاهتمام بعلاقة الأدب العربي بالآداب الأخرى ، قد ظهر في القرن التاسع عشر مع رفاعة الطهطاوي في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" ، فقد عقد فيه مقارنات عابرة ولكنها ذات دلالات هامة بين الأدب العربي والأدب الفرنسي. وقد تطور هذا الاتجاه على يد دارسين آخرين جاءوا بعد رفاعة الطهطاوي في القرن التاسع عشر أيضا ، منهم علي مبارك في كتابه "علم الدين" حيث عقد مقارنات هامة في حوار مطول بين الأدبين العربي والأوربي ، على لسان شيخ أزهري ومستشرق إنجليزي.

لكن مصطلح "الأدب المقارن" لم يظهر في اللغة العربية إلا مع فخري أبو السعود الذي نشر في مجلة رسالة في العقد الثالث من القرن العشرين نحو خمسين مقالة تحت عنوان "الأدب المقارن بين العربية والإنجليزية".

وكانت أول مؤسسة أكاديمية احتضنت الأدب المقارن في مصر والعالم العربي وجعلته واحدا من مقرراتها هي مدرسة دار العلوم ، التي تغير اسمها بعد ذلك وأصبحت كلية دار العلوم ، وانضمت إلى كليات جامعة القاهرة. ومن كلية دار العلوم سافر أول مبعوث لدراسة الأدب المقارن في فرنسا ، وهو الدكتور محمد غنيمي هلال ، الذي ألف ، بعد عودته من البعثة ، أول كتاب منهجي في الأدب المقارن. وقد كان هذا الكتاب تتويجا لمرحلة طويلة من الإرهاصات والمقدمات والبحث عن المصطلح واللجوء إلى الترجمات.

من تأثير الأدب الفرنسي على نشأة الرواية العربية:

سافر محمد حسين هيكل في بعثة إلى فرنسا ، وهناك اطلع على الآثار الأدبية المكتوبة بالفرنسية. وقد تأثر كثيرا برواية "جولي أو هلويز الجديدة" التي كتبها الكاتب الفرنسي جان جاك روسو في القرن الثامن عشر. وقد ظهر تأثر هيكل في أول رواية عربية تحمل عنوان "زينب" وقد طبعت للمرة الأولى في عام 1914. وكان أول من أشار إلى هذا التأثر المستشرق الفرنسي هنري بيريس عام 1955.